

# تحقیقات لغویة

## الأستاذ عبدالقادر زمامرة

في مقال سالف تحدثنا عن كلمات : المشказة والشکاز . والحوالة . والوادي بمعنى النهر والسبة الى مقرة ... !

وفي هذا المقال نتابع الحديث بالكلام على : المصارة والمسرة ... !

الاولى : الدلالة الحقيقة لهذه الكلمة .  
 الثانية : الرسم الصحيح لكتابتها ولنبدأ في النقطة الاولى ... بالاشارة الى بعض الكتب الاندلسية التي استعمل مؤلفوها كلمة المصارة لنرى مدلولها هناك ... !  
 — مؤلف الكتاب المسمى ( باخبار مجموعة ) يستعمل كلمة المصارة باعتبارها اسم مكان معين يقع خارج عاصمة قرطبة ... ! جرت فيه عدة احداث و المعارك بين عبد الرحمن الداخل الاموي ... وبين محاربيه قبل ان يتم له الامر ... !

بل اتنا نجد مؤلف هذا الكتاب يذكر المصارة في اخبار ثعلبة بن سلامة سنة 124 هـ . قبل مجيء عبد الرحمن الى الاندلس ... وقد اقام ثعلبة هذا سوقاً عند المصارة ... ويensus بها اسراه من خصومه المغلوبين ... !! (1)

— ومؤرخ الاندلس ابو مروان ابن حيان القرطبي ( 377 هـ - 469 هـ ) يذكر المصارة عدة مرات

المصارة : كلمة معروفة ومستعملة في كتب المؤرخين والجغرافيين الاندلسيين . كما انها معروفة ومستعملة في المغرب نجدها في عدة مصادر تاريخية مخطوطة ومطبوعة سنثیر اليها فيما بعد ... !

والمعنى الاجمالي الذي يتبادر الى ذهننا لهذه الكلمة . عندما نجدها في النصوص الاندلسية والمغاربية هو انها تعني عند الذين يستعملونها في كتاباتهم ... الفضاء الفسيح الذي يقع خارج المدن الكبرى وتحيط به الجنات والحقول مما يجعله معدا لإقامة المهرجانات والانفراح العامة ... والتقيع بجمال الطبيعة في فصل الربيع ... !

لكن هذا المعنى الاجمالي الذي ندركه من خلال الاستعمال . لا يكفينا في ميدان التحقيق اللغوي الذي يحدد المعاني بدقة . لاستنادا على نصوص معجمية او استعمالات اصطلاحية معينة ... !

لذا كان البحث هنا في هذه الكلمة منصرفا الى نقطتين :

(1) اخبار مجموعة ... ص 45

فإذا أطلق الاندلسيون كلمة ( المصارة ) على الفضاء النسج المحيط بمدينة من مدنهم الكبرى المشتمل عادة على الحقول والجنبات والميايدات الواسعة ... فإن ذلك ضرب من ضروب المجاز اللغوي المعروفة المستعملة في فصيح اللغة ... !

اما اذا كان هذا الفضاء مستعملا كلاما او بعضا لعدو الخيول وسباقها بالفعل ... ! فإن الاطلاق يكون اذا ذاك حقيقة لفوية ... لا مجازا ... !

وبهذا ظهر ان كلمة ( المصارة ) لها اصل لغوي صحيح . وان الاصطلاح الاندلسي مبني على هذا الاصل ... ! فلا مجال فيها للتوقف ... ! لا من جهة الاصل ... ولا من جهة الدلالة ... !

وفي المغرب نجد الكلمة مستعملة عند عدد من المؤلفين . الا اننا سنشير الى بعض النصوص التي وردت فيها على سبيل المثال لا على سبيل الاستقصاء ... !

— فمؤلف كتاب : ( روض القرطاس ) يقول : « ويحمد الزرع بفضل المصارات — كما — التي يخرج باب الشريعة من ابواب عدوة التروبيين عن اربعين يوما ... ! وقد شاهدت الزرع حرث بالمصارة المذكورة في خمس عشر من شهر ابريل . وحمد في آخر ما يه !!! » (5)

— ونجد الروض المريني المسمى بـ روض المصارة مذكورا في عدة مصادر كتب باقلام اعلام ذلك العصر .. ومن بعدهم .. !

— ثابن الخطيب في ( نفاستة الجراب ) يذكر جنة المصارة ويعبر عنها مرة اخرى بـ روض المصارة . ويصف المهرجانات والاحداث التي شاهدها هناك .. ! (6)

— وابن خلدون في ( العبر ) يذكر روض المصارة الذي انزل به ابو الحسن المريني ضيفه ابن الاحمر وكان هذا الروض لصق دار ابى الحسن .. ! كما يقول ابن خلدون .. ! (7)

وذلك في القسم المطبوع من كتابه ( المقتبس ) في بيروت 1965 م ... وذكر ابو حيان في القسم المذكور استقبالات كبرى جرت في مصاراة قرطبة احتفالا بضيوف الاندلس الواجبين على عاصمتها اذ ذاك ... !! (2)

كما ذكر اشياء اخرى وقعت في هذه المصارة ... !

وفي هذا الكتاب وفي غيره نجد مصارى

المصارة (3) لكن المصاراة ليست موجودة في قرطبة

وفي هذا الكتاب ليست موجودة في قرطبة وحدها بل ان هناك عدة مدن اندلسية نجد فيها مصارات اخرى لا غرض لنا باستقصائها الان ... !

ويكفيانا الان ان نرجع الى القسم المطبوع من كتاب ( ترصيع الاخبار وتنويع الآثار ) الذي فيه الجغرافي الاندلسي احمد بن عمر العذري المعروف بابن الدلائلي نجد فيه خبرا عن : « وقيعة المصاراة بلورقة » (4) باقليم مرسيه ، وبذلك تتأكد لنا ان

( المصاراة ) ليست على اطلاقها على موضع خاص في قرطبة ... ! بل هي « اصطلاح » اندلسى عرف واستعمل عند الاندلسيين منذ سنوا THEM الاولى ... حتى صار لكل مدينة كبرى هناك مصاراة ... ولابد ان نتسائل عند البحث ... عن الكيفية اللغوية التي نشأ بسببها هذا الاصطلاح هناك ... ! وعند الرجوع الى ( تاج العروس ) نجد هذا النص اللغوی :

« مصر الفرس كعني استخرج جريمه ... ! والمصاراة بالضم الموضع الذي تمصر فيه الخيل ... !

فالمادة لفوية معجمية ما في ذلك من شك ... ! والمعنى اللغوي لكلمة المصاراة كما شاهدنا في النص . هو الميدان الذي تطلق فيه الخيل لأجل المدعو والسباق واستخراج الطاقة الحيوانية :

ومن شأن الميدان المعد لذلك ان يكون خارج المدينة في فضاء فسيح ... !

(2) الارقام المذكورة في نهرسة القسم المذكور ... ٤

(3) ابن عذاري ج 2 من 199

(4) نصوص الاندلس من 5 معهد الدراسات الاسلامية بمدريد 1965 م

(5) الجزء الاول من 59 . ط . الرباط 1936 م وانظر ايضا من 54 من نفس الجزء ... !

(6) نفاستة الجراب من 184 و 213 و 217

(7) العبر ج 7 من 531 . ط . بيروت 1959 م

اما في المسموّع بين الناس في المغرب . وكذلك في بعض الكتب التاريخية فان المسّرة تعني جنة فيها من جنات مراكش الحمراء وقد أسلت هذه الجنة وغرست وجرت اليها المياه على عهد الموحدين !!

وعلى المنهاج الذي سرنا عليه فانتا نبحث عن (كلمة) المسّرة .. ! لا عن (موقعها) او (صفاتها) التي ذكرها المؤرخون .. او بعبارة اوجز وادق .. فانتا نبحث عن الاسم لا عن المسمى .. !

فهل سمي الموحدون منشأتهم التي غرسوها بتنوع الاشجار والرياحين في مراكش بهذا الاسم — المسّرة — فعلا .. ؟؟

ومع اعترافنا من الناحية اللغوية بصحة تسمية الرياض وما في معناها باسم المسّرة . لكونها ظرفًا للسرور الانشراح .. او سببا من اسبابها . او لغير ذلك من العلاقات .. ! فان البحث هنا منصرف الى شيء آخر .. وهو كما قلنا آننا .. :

— هل سمي الموحدون منشأتهم التي غرسوها بتنوع الاشجار والرياحين في مراكش بهذا الاسم — المسّرة — فعلا .. ؟؟

ونؤكد اتنا لا نشك ان الموحدين جملوا عاصمة الامبراطورية الكبرى بعدد من الحدائق والجنتات والقصور والمساجد والبُرّات ... !

ولكن هناك فرقاً بين « انشاؤا » وبين « سموا » ونحن نبحث عن الثانية دون الاولى ... دفعا لكل التباس .. !

فالمؤرخون الذين تناولوا تاريخ مراكش هم كثيرون يذكرون « المسّرة » باعتبارها من منشآت الموحدين ونكتفي هنا بالاشارة الى المقدمة الحافلة لكتاب « الاعلام » من حل مراكش وأغامت من الاعلام « مؤلفه القاضي عباس ابن ابراهيم رحمة الله ... ! فانتا نجد فيها نقلة عن المؤرخين .. ان عبد الومن « انشأ » المسّرة .. ! التي بظاهر جنان الصالحة ... كما نجد ان عبد الومن « انشأ » المسّرة وهي البستان الذي « جده » المنصور الذهبي ... ! (10)

وبختنا — جهد الامكان — منذ مدة في المصادر والكتب التي لابس مؤلفوها دولة الموحدين وعرفوا

ونغي عن التأكيد اتنا هنا بقصد البحث عن (كلمة) المصاراة .. ! لا عن (موضع) المصاراة ...

واثبتت هذه الكلمة في عصر بنى مرين وفي الوثائق المتعلقة بعاصمتهم ... ومن اجل ذلك تداولتها الان ... ! في الوثائق الخطية المتعلقة بالاملاك التي كانت تجاور المصاراة لمعينين أو للاحياس ..

ولا شك ان رسم الكلمة رسمًا صحيحا يتوقف على استحضار أصلها اللغوي ومعرفته ... ! فماذا نسي هذا الاصل او اهمل .. ! فان الكلمة تأخذ طريقا او طرقا الى التحريف والتصحيف ... ! وهذا ما حدث في كلمة المصاراة ...

وقد وصلنا الان الى النقطة الثانية ... وهي الرسم الصحيح لكتابتها ... !

ونشير هنا الى اتنا لاحظنا في الوثائق التي مرت امام اعيننا « وجلها من الصكوك المخطوطة » ان هناك من يكتبها ... المصاراة .. ! (بالصاد) ومن يكتبها المصاراة .. ! (بالسين)

ولا يبعد ان يكون غيرنا قد اطلع على رسماها رسما ثالثا او اكثرا .. !

— وفي مقدمة ( جذوة الاقتباس ) لابي العباس ابن القاضي نجد ناسخ الكتاب كتب المصاراة هكذا « جنات المصاراة » ( بالسين ) .. !

ولا شك ان ما قدمناه كاف لاقناعنا ان رسم الكلمة الصحيح لغة واصطلاحا هو ( المصاراة ) ( بالصاد ... لا بالسين .. ! )

والغريب ان هذا التصحيف الذي لم يستأه فيها يرجع للمصاراة المغاربية في عاصمة بنى مرين قد لحق المصاراة الاندلسية في عاصمة الامويين .. ! بناء على ما جاء في محقيقة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ... ! (8)

وننتقل الى كلمة — المسّرة — فننبأ يرجع الى الدلالة اللغوية نجد المسّرة مصدرا مimbتا لل فعل سر ... ! كما نجدتها اسماء لاطران الرياحين ... ! (9)

(8) المجلد الثالث عشر مدريد 1965 م - 1966 م

(9) اعتمدنا على تاج العروس في المادة ..

(10) انظر من الصفحتين 67 و 86 و 94 .

وإذا كان المؤرخون الذين كتبوا مؤلفاتهم بعد عصر الموحدين قد استعملوا كلمة « المسرة » فيما يرجع لمنشآت الموحدين بمراكنش ... فإنهم استعملوا كلمة « المصارة » فيما يرجع لمنشآت المربيين بفاس ...!

ولكن لا ينبغي أن نستخرج من ذلك نتائج جزائية او نفرض فروضاً خيالية لا سند لها من النصوص ... لهذا كان من اللازم ان نتابع البحث الذي بدأناه ... وشير به في كتب المتأخرین كما فعلنا في كتب المقدمين

— المؤرخ اكتسوس في ( الجيش العرم ) وهو خبير بتاريخ مراكنش وفاس .. يذكر في كتابه ... مسيرة الموحدين بمراكنش (12) كما يذكر مسيرة فاس ... ويقول عن هذه الاخيره بالحرف : « وأما المسرة فليست الا على ضفة نهرها المطرد ... ! (13)

فعن مسيرة مراكنش فإن كلام اكتسوس يدخل في عموم كلام المؤرخين الذين كتبوا مؤلفاتهم بعد عصر الموحدين ... حيث إننا تحققنا ونتحفظ الى ان نجد نصاً موحدياً يسمى منشآت الموحدين « مراكنش باسم ( المسرة ) فعلا ... !

وعن مسيرة فاس ... !

فإن الامر يستدعي ان يقوم دليل يدل على ان هناك بفاس شيئاً ثالثاً :

( المصارة ) التي تحدثت المصادر عنها كما شاهدنا ذلك في النصوص السابقة ... !

( والمسرة ) التي ذكرها اكتسوس ... ! والحالة هذه ... ونحن لحد الان ... لا نعرف الا الاولى ... !

— والمؤرخ الواعية ابو العباس المقري حدثنا في كتابيه : روضة الاس ... وفتح الطيب عن روض المسرة الذي هو ثالث مصانع المنصور الذهبي ... (14) للبديع ... والمشتهي ... والمسرة ... والظاهر انها كلها بمراكنش ... !

ويقول المقري ان المنصور الذهبي ورى بصماته الثلاثة في بيته اتشدهما ...

العاصميتهم مراكنش . ومنهم من سكتها فعلا في العصر الموحدى ... ! فلم نجد فيها تسمية ما انشاء الموحدون هناك باسم « المارة » ولا باسم « المصارة » ... !! بل وجدنا اسماء اخرى لا غرض لنا بذكرها الان ... !

واهم هذه الكتب الموحدية هي :

- الاستبصار في عجائب الامصار
- الموجب في تلخيص اخبار المغرب
- القسم المنشور من نظم الجمان لابن القطان
- تاريخ المن بالامامة لابن صاحب الصلاة
- مجموع رسائل موحدة
- كتاب المؤرخ البيدق

بل إننا نجد المؤرخ البيدق يذكر في كتابه : اخبار المهدى . ان عبد المؤمن كلف اميراً من امراء الانتدلس وهو احمد بن ملحن ...؟ ملك وادي آش ...! بتنسيق بستانه العظيم الذي انشأ بمراكنش وهذا البستان يسميه البيدق « شنطولية » (11) .

فهل جاءتنا كلمة « المسرة » التي نراها عند بعض المؤرخين من تعریف كلمة « شنطولية » التي حافظ لنا عليها المؤرخ البيدق ...؟

ولا بد لنا هنا من تطبيق القاعدة المعروفة في الابحاث العلمية وهي :

— ان عدم الوجود لا يتنفس عدم الوجود ... !

ماذا لم يتيسر لنا الان الاطلاع على نص موحدى فيه كلمة « المسرة » فمن الجائز ان غيرنا من الباحثين — مستشرقين او عرب — قد اطلعوا عليه فعلا ... او سيطّلعون عليه في مخطوط او مطبوع ... !!

اذ ان من السهل ان يثبت الباحث شيئاً وقف على نص يثبتنه ... ولكنه من الصعب ان ينفي شيئاً لم يوجد له نصا ... !!

هذا اذا كان يحترم منطق العلم ... !

ويطبق آداب البحث ... !

(11) اخبار المهدى ابن تومرت ص 120 . ط باريز 1928 م.

(12) الجزء الثاني ص 10 و 22

(13) المصدر السابق ص 55

(14) النفح ج 7 ص 80 و 81 . ط . بيروت وزهرة الاس من 25 ط . الرباط

والذي يزيدنا اطمئنانا على هذا ( التحفظ ) الذي تحفظنا به في شأن كلمة ( المسرة ) هو أن أبا العباس المقربي كان متمكنا من معرفة الأسماء والسميات في الموضوع ...

فقد وجدها يفرق بين ( روض المسرة ) الذي هو من مصانع النصوص الذهبي ببراكش .. ! فكتب ( المسرة ) هكذا باللين وبدون الف ... كما في النص الذي أشرنا إليه قبل في نفح الطيب وروضة الآس ... وبين ( قصر المصارة ) بناس الذي هو من منشآت المرينيين فكتب ( المصارة ) بالصاد بعدها الف ... كما هو الصواب .

وقد حدثنا المقربي عن قصر المصارة المريني وروى لنا شعر ابن خميس الذي سمعه أبو عنان في هذا القصر ... ! (15)

بستان حسنك ( أيدعت ) زهراته  
ولكم نهيت القلب عنه فما انتهى  
وقولم غصنك ( بالسرة ) ينتهي  
يا حسنة رمانة ( للمشهى )

فالنصرور الذهبي المتوفى سنة 1012 هـ حينما سمي أحد مصانعه العظمى ببراكش .. باسم ( المسرة ) كان يعبر عن رغبة خاصة ! كالرغبة التي دفعته ليسمى المصنعين الآخرين باسم ( البديع ) و ( المنشئ )

ولهذا تكون ( مسرا ) الذهبي ببراكش أمراً واقعاً ليس له من دافع .. !  
اما ( مسرا الموحدين ) بهذا الاسم فتحتاج في رأينا التواضع إلى نص موحد يثبت أن الموحدين استعملوا هذا الاسم .. !!

---

(15) ازهار الرياض ج 2 من 316